# (٤)

# محاولات التجديد

وقبل نجاح الاستعمار الغربى ـ مستعينًا باليهودية . . والماسونية . . والعلمانية ـ فى إسقاط الخلافة الإسلامية وإلغائها ـ فى ٢٢ رجب ١٣٤٢هـ ٣ مارس ١٩٢٤م . وإبان مرحلة ضعفها وتراجعها . . كانت هناك اجتهادات فكرية وجهود عملية من رواد الصحوة الإسلامية الحديثة ـ وتيار «الجامعة الإسلامية» ـ لتجديد دولة الخلافة ، وبعث الروح فى سلطانها . . وذلك حفاظًا على مقاصد الإسلام من وجودها . .

وفى هذا الإطار ، كتب رائد اليقظة الإسلامية الحديثة جمال الدين الأفغانى [١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م] داعيًا لتجديد شباب الخلافة والسلطنة العثمانية ، وذلك بتحويلها إلى «دولة لا مركزية» ، تتألف من عشر ولايات ـ «خديويات» ـ لتنهض من كبوتها ، وتصح من أمراضها ، وتستأنف تقدمها ، فتصبح قوة جذب للدول الإسلامية التى كانت خارج الإطار العثمانى فى ذلك التاريخ ـ من مثل الأفغان . .

وإيران ـ وسندًا ومهوى أفئدة البلاد الإسلامية التى سقطت فى قبضة الاستعمار الإنجليزى ـ من مثل مصر . . والهند .

كتب الأفغانى فى ثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادى ـ بـ «العروة الوثقى» ـ داعيًا إلى تضامن إسلامى ، يجعل دار الإسلام جامعة للتضامن ، تؤلف بين أوطان هذه الدار وأقوامها ـ «مع بقاء كل ذى ملك على ملكه» ـ كتب عن ذلك ، فقال :

**«إن من «أدرنة» ـ [فى تركيا] ـ إلى «بيشاور» ـ [بباكستان] ـ دولا إسلامية متصلة الأراضى ، متحدة العقيدة ، يجمعهم القرآن . . وهم ممتازون بين أجيال الناس بالشجاعة والبسالة . .**

**أليس لهم أن يتفقوا على الذب والإقدام كما اتفق عليه سائر الأمم؟! . ولو اتفقوا فليس ذلك ببدع منهم ، فالاتفاق من أصول دينهم .**

**هل أصاب الخَدَرُ مشاعرهم فلا يحسون بحاجات بعضهم البعض؟! . أليس لكل واحد أن ينظر إلى أخيه بما حكم الله فى قوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات : ١٠] فيقيمون بالوحدة سدًا يحول عنهم هذه السيول المتدفقة عليهم من جميع الجوانب؟!**

**لا ألتمس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصًا واحدًا ، فإن هذا ربما كان عسيرًا ، ولكنى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى مُلك على ملكه ، يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع ، فإن حياته بحياته وبقاءه ببقائه .**

**ألا إن هذا، بعد كونه أساسًا لدينهم، تقضى به الضرورة، وتحكم به الحاجة فى هذه الأوقات. هذا آن الاتفاق. هذا آن الاتفاق»!!**[٤].

وفى تسعينيات القرن التاسع عشر، تقدم جمال الدين الأفغانى إلى السلطان عبد الحميد الثانى [١٢٥٨ ـ ١٣٣٦هـ ١٨٤٢ ـ ١٩١٨م] بمشروع «تصور عملى» لدولة الخلافة اللامركزية، عرضه على السلطان، عندما قال له ـ فيما يشبه «الوثيقة التنظيمية» لتجديد الخلافة وإدارتها:

**«يا مولاى إن أجزاء السلطنة أخذت تتفكك، الجزء بعد الآخر، فصار من الواجب نظم الممالك، وأجزاءها، بسلك من النظام أوثق وأشد وأحكم..**

**إن السلطنة العثمانية تتألف اليوم من ثلاثين ولاية، ومساحة أملاكها فى آسيا فقط ستمائة وواحد وستين ألف ميل مربع ـ [ومساحة بريطانيا وأيرلندا مائة وعشرين ألف ميل. فتأمل!]..**

**فتبدأ ـ [يا مولاى] ـ بالبعيد منها، والمطموع فيها، مثل طرابلس الغرب. فتجعلها خديوية، ثم إلى ولايات بغداد، فالبصرة، فالموصل، فتجعلها خديوية، وإلى بيروت، وسورية، وحلب، مع القدس، فتجعلها خديوية، ثم إلى جزائر بحر سفيد، وكريد، مع أدرنة، وسلانيك، فتجعلها خديوية. ويشترط عليها تعزيز العمارة البحرية ـ [الأسطول] ـ قبل كل شىء.**

**ثم الحجاز، فتجعل خديويها الأقدر من الأشراف الهاشميين اليوم، والأحسن سيرة، ثم اليمن، وخديويها يكون الإمام الزيدى.**

أمـا الأناضـول وولاياته: قـونيـة، وأنقـرة، وآيدين، وأطنة، وقسطمونى، وسيواس، وديار بكر، وبتليس، وأرضروم، ومعمورة العـزيز، وآن، وطرابزون، فتـقـسم إلى ثلاث خـديويات، يكون لكل خـديوية منفـذ بحـرى، الواحـد على البـحـر الأسـود ـ إمـا فى سيـواس أوصامسوم ـ والثانى فى بروسة، والثالث فى أزمير.

وبلاد الألبـان، وهى ولايات: قـوصـوه، ويانيـه، وأشـقـودره، ومناستر، فتجلها خديوية أيضًا.

هذه ـ يا مولاى ـ عشر خديويات، بل عشر ممالك، كل واحدة منها أعظم موقعًا من اليونان، وأكبر مساحة، وأخصب أرضًا، وأنشط قومًا، وأرجح عـقـولاً، ومـا يقـعـدهم عن اللحـاق بمن انفـصل عن السلطنة العثمانية، أو التفوق عليهم، إلا شكل الحكم، وقيود وأغلال المركزية القاتلة للهمم، الموهنة للعزائم..

ثم، متى نهضت تلك المقاطعات والخديويات، وأخذت نصيبها من الرقى والعمران، وصارت ـ مثلاً ـ خديوية العراق مثل خديوية مصر، ثروة ونظامًا، لا شك فى أن إيران ـ تسرع لمقام السلطنة العظمى، للاتحاد معـها، إذ هى فى أمس الحاجـة لشد الأزر، ولصـون كيـانها من مطامع الغرب، الموجه نحو عموم دول الشرق.

ثم، ما أسرع الأفغان للانضمام فى ذلك السلك، سلك اجتماع كلمة دول الشرق الإسلامية تحت راية الخلافة العظمى والسلطنة الكبرى.

**ثم، ومتى تم ذلك ـ وسيتم إن شاء الله ـ هل يقعد أهل الهند، وراجاتها وأمراؤها، والمائة وثمانون مليونًا من المسلمين، عن نصرة الخليفة الأعظم واللحاق لشد ساعد إخوانهم ليدفعوا غارة الغرب عن الدول الإسلامية فى الشرق، وعن هندهم أيضا، أو ينهضون نهضة الرجل الواحد للتخلص من ربقة الاستعمار والمستعمرين، ويرجع الشرق للشرقيين. وما ذلك على الله بعزيز»**[٥].

هكذا صاغ جمال الدين الأفغانى مشروعًا سياسيًا وتنظيميًا لتجديد الخلافة الإسلامية وإنهاضها.. وإن كان حرص السلطان عبد الحميد على إحكام قبضته على «المركزية القاتلة للهمم» قد منع هذا المشروع الإسلامى من أن يرى النور!..

كما كان كتاب الشيخ محمد رشيد رضا [١٢٨٢ ـ ١٣٥٤هـ ١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م] عن [الخلافة] ـ الذى صور ١٣٤١هـ ١٩٢٢م ـ جهادًا واجتهادًا إسلاميًا، حاول به مغالبة قرار الاستعمار الغربى، الذى اجتمعت قواه وإمبراطورياته ـ رغم تناقضاتها ـ على إلغاء الخلافة الإسلامية، وكسر وعاء الوحدة الإسلامية التاريخية، وإزالة الرمز الذى جسد وحدة السلطان السياسى للإسلام لأكثر من ثلاثة عشر قرنًا.

***

وهكذا.. كان تجديد الخلافة الإسلامية، لإنهاضها من ضعفها، معلمًا من معالم المشروع الحضارى لليقظة الإسلامية فى العصر الحديث.. وفريضة «فكرية.. وعملية» سعى إلى القيام بها رواد هذه اليقظة ـ فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، والعقود الأولى من القرن العشرين..